الأبعاد النفسية والبلاغية في الصور الشعرية لدي شعراء الرابطة القلمية

د.حسين تكتبار فيروزجائي؛ استاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

Hossein Taktabar Firouzjai: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Qom University Arabic Language and Literature،

د . مهدي ناصري؛ استاذ مشارک في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

Mahdi naseri: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Qom University Arabic Language and Literature،

مصعب فرج مهدي طالب الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

Musab Faraj Mahdi, PhD student, Department of Arabic Language and Literature, Qom University

استلام البحث: ٢٠٢٥/٥/١٩م

نشر البحث: ٢٠٢٥/٦/٣٠م

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص

يتناول هذا البحث تحليل وتجسيد التجارب النفسية والعاطفية التي يعبر عنها شعراء الرابطة القلمية من خلال أساليب بلاغية متنوعة. تُعد الرابطة القلمية مجموعة أدبية تأثرت بالبيئة الثقافية والاجتماعية للمهجر، وقد أسست لمشروع أدبي يقوم علي دمج الأبعاد النفسية مع التعبير الفني، مما ساهم في إثراء الشعر العربي الحديث وتطويره. تتمثل المشكلة الأساسية التي يسعي هذا البحث لمعالجتها في كيفية تأثر الأبعاد النفسية للشعراء بتجاربهم الفردية والاجتماعية، وكيف استطاعوا عكس تلك التجارب عبر الصور البلاغية في شعرهم. يطرح البحث تساؤلات حول دور اللغة والصورة الشعرية في إظهار الصراعات الداخلية والتعابير الإنسانية، ويدرس مدي نجاح الشعراء في تجسيد مشاعرهم من خلال الألفاظ والرموز، مما يساعد القارئ علي فهم تجاربهم بشكل أعمق.تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة نظرًا لتسليطها الضوء علي العلاقة الوثيقة بين النفس البشرية والفن الشعري، مما يسمح للقراء والباحثين بفهم كيف يمكن للأدب أن يكون مرآة تعكس التجارب الإنسانية المتنوعة. يلعب الشعر دورًا فاعلًا في التعبير عن القضايا الوجودية والهوية والانتماء، وهذا ما يمنح هذا البحث قيمة مضافة؛ إذ إنه يقدم رؤية شاملة عن كيف استطاع شعراء الرابطة القلمية التفاعل مع قضايا عصرهم من خلال شعرهم. ويهدف البحث إلي تحليل الأبعاد النفسية والبلاغية للصور الشعرية المستخدمة من قبل شعراء الرابطة القلمية، مع التركيز علي كيفية تأثير تلك العناصر في تجربة القارئ. يتم استخدام المنهج التحليلي النقدي الذي يدرس النصوص الشعرية من جوانب متعددة، بما في ذلك تشكيل الصور الشعرية، وأساليب التعبير البلاغي، ودورها في إيصال الأحاسيس والمشاعر علي نحو فعال.تشير النتائج إلي أن شعراء الرابطة القلمية استطاعوا من خلال الصور الشعرية تجسيد تعقيدات النفس البشرية والتعبير عن مشاعر الفراق، والأمل، والحزن، مما ساهم في خلق ارتباط عميق مع القارئ. كما أظهرت الدراسة أن البلاغة ليست مجرد زينة لفظية، بل هي أداة فعّالة تُستخدم لنقل التجارب الإنسانية والمعاناة بشكل يضفي علي النص بعدًا عاطفيًا ويلامس وجدان المتلقي. يعكس البحث في مجمله كيف أن الشعر يمكن أن يكون بمثابة جسر يربط بين التجارب الذاتية والروح الإنسانية المشتركة.

الكلمات المفتاحية: أدب المهجر، شعراء الرابطة القلمية، الصور الشعرية، الابعـــاد النفســـية، البلاغة.

Abstract

This research analyzes and embodies the psychological and emotional experiences expressed by the poets of the Pen League through various rhetorical devices. The Pen League is a literary group influenced by the cultural and social environment of the diaspora. It established a literary project based on integrating psychological dimensions with artistic expression, which contributed to the enrichment and development of modern Arabic poetry. The main problem this research seeks to address is how poets' psychological dimensions are influenced by their individual and social experiences, and how they were able to reflect these experiences through rhetorical images in their poetry. The research raises questions about the role of language and poetic imagery in revealing internal conflicts and human expressions, and examines the extent to which poets succeed in embodying their feelings through words and symbols, helping readers to understand their experiences more deeply. This study gains particular importance due to its highlighting the close relationship between the human psyche and poetic art, allowing readers and researchers to understand how literature can serve as a mirror that reflects diverse human experiences. Poetry plays an active role in expressing existential issues, identity, and belonging, and this is what gives this research added value. It offers a comprehensive view of how the poets of the Pen League were able to engage with the issues of their time through their poetry. The research aims to analyze the psychological and rhetorical dimensions of the poetic

images used by the poets of the Pen League, focusing on how these elements influence the reader's experience. A critical analytical approach is employed, examining poetic texts from multiple perspectives, including the formation of poetic images, rhetorical expression techniques, and their role in effectively conveying feelings and emotions. The results indicate that the poets of the Pen League were able, through poetic imagery, to embody the complexities of the human psyche and express feelings of separation, hope, and sadness, contributing to the creation of a deep connection with the reader. The study also demonstrated that rhetoric is not merely verbal embellishment; rather, it is an effective tool used to convey human experiences and suffering in a way that imbues the text with an emotional dimension and touches the recipient's conscience. The research, as a whole, reflects how poetry can serve as a bridge between personal experiences and the shared human spirit. Keywords: diaspora literature, poets of the Pen League, poetic images, psychological dimensions, rhetoric.

المقدمة:

تُعدُّ الصورة الشعرية من أبرز العناصر الأدبية التي يُعتمد عليها في الشعر؛ حيث تلعب دورًا محوريًا في تشكيل المعاني والتعبير عن المشاعر الإنسانية. في سياق الرابطة القلمية، التي تأسست في المهجر وبرزت كحركة أدبية مهمة في أوائل القرن العشرين، تتجسد الصورة الشعرية كوسيلة فعالة للتعبير عن الأبعاد النفسية والبلاغية، مما يسهم في إيصال التجربة الفنية للشاعر بوضوح وعمق.يتناول هذا البحث "الأبعاد النفسية والبلاغية في الصور الشعرية لدي شعراء الرابطة القلمية"، حيث يركز علي دراسة كيف يعكس الشعر النفسيات المعقدة والأحاسيس الجياشة عبر الصور الشعرية. تسلط الدراسة الضوء علي الأساليب التي يستخدمها الشعراء لنقل مشاعر الحب، الفراق، الأمل، والأسي، وكيف تسهم تلك الصور في تشكيل معاني متعددة تُلامس وجدان

القارئ. والصورة الشعرية تُعرف بأنها تجسيد مرئي يُستخدم فيه الشاعر الألفاظ والتشبيهات والاستعارات للتعبير عن أفكاره ومشاعره. هي عبارة عن تجسيد جمالي يُساعد القارئ علي إدراك الفكرة بشكل واضح ويسمح له بالشعور بتلك الأحاسيس المتنوعة بأسلوب فني يجذب الانتباه. تتجاوز الصورة الشعرية كونها مجرد أدوات بلاغية؛ فهي تمثل وسيلة للشاعر لخلق عالم كامل بواسطة ألفاظ مختارة بعناية، حيث تُغطي الأبعاد الحسية والعاطفية للموضوع. هذه الصور تُشعر القارئ بواقع يتجاوز الكلمات، مما يسهم في تحديد الانفعالات الداخلية للشاعر واستجاباتهم تجاه الأحداث والظروف المحيطة.

تلعب الصور الشعرية دورًا حيويًا في التعبير عن الأبعاد النفسية، حيث تنقل مشاعر الشاعر بشكل عميق. من خلال استخدام الرموز والاستعارات، يُعبر الشعراء عن معاناتهم، آمالهم، وتطلعاتهم، مما يُعكس الحالة النفسية التي يعيشونها. هذه الصور تُعزز التفاعل بين الشاعر والقارئ من خلال تجسيد الألم أو الفرح بشكل محسوس. علي صعيد البلاغة، تُعتبر الصور الشعرية وسيلة لتعزيز المعني وتضفي جمالًا علي النص. تستخدم هذه الصور لتحقيق تأثيرات جمالية تشد القارئ، وتساعد علي إيصال الرسالة الشعرية بوضوح. الصور الشعرية تعطي للنص بُعدًا فنيًا يعزز قيمته الأدبية ويجعل الفكرة أكثر وضوحًا جاذبية.

عند تحليل الصور الشعرية، يُمكن أن نلاحظ كيف تُستخدم لتعزيز تعبيرات محددة، مثل شخصية الشاعر ومدي ارتباطه بالموضوع. من خلال القراءة المتأنية، يُمكن أن نكتشف نغمات متعددة للمعاني التي تشمل التأملات الوجدانية ومخاوف الفراق أو الشوق، مما يسمح بفهم أعمق للمضمون.تتسم الصور الشعرية بالتنوع، حيث تختلف وفقًا للتجارب الفردية والبيئة المحيطة بالشاعر. من خلال مقارنات بين الشعراء في الرابطة القلمية، يُمكن رؤية كيف يتناول كل شاعر قضايا الحب والوطن والانتماء بطرق فريدة تعتمد علي رؤيتهم الإبداعية. هذه المظاهر تُعزز من الأسلوب النقدي في التحليل الأدبي.دتعتمد الصور الشعرية أيضًا علي البنية الفنية للنص، والتي تُسهم في توجيه القارئ نحو الرؤية المفترض الوصول إليها. من خلال التنقل بين الصور الحسية والمعنوية، يُعطي الشعراء طابعًا ديناميكيًا للشعر، مما يسهم في تشكيل اللحظة الشعرية ككل متكامل يعكس مشاعرهم.

في ختام هذه المقدمة، يُعتبر هذا البحث شأنه كبير في دراسة الأبعاد النفسية والبلاغية في الصور الشعرية لدي شعراء الرابطة القلمية. إذ يُسلط الضوء علي كيفية استغلال هؤلاء الشعراء للصور الشعرية كوسيلة عميقة لنقل تجاربهم الإنسانية، مما يغني الفهم الأدبي للشعر العربي الحديث ويُبرز جماليات اللغة ودورها في تعميق الفهم للواقع ومعاني الحياة.

الصورة الشعرية

تُعتبر الصورة من أبرز العناصر الفنية التي تلعب دورًا كبيرًا في تشكيل العمل الأدبي، حيث تسهم في تحسين الشكل الخيالي والجمالي للنص. لقد حظيت هذه الصورة باهتمام خاص من قبل البلاغيين والنقاد والأدباء، إذ يسعون لفهم مفهومها ودلالاتها، وذلك لاستيعاب قيمتها الحيوية في مختلف فنون الأدب. إن اختلاف الآراء بين الدارسين حول تعريف الصورة يجعل من الصعب الوصول إلي تعريف شامل يغطي جميع جوانب هذا المصطلح الأدبي. يمكننا أن نري أن الصورة الشعرية قد اُستخدمت في التراث الأدبي مرادفًا لمجموعة من المفاهيم الموجودة ضمن علم البديع، كالتشبيه والمجاز والكنية والاستعارة. وهي تعد من أبرز مكونات البناء الفني، حيث يبرز فيها عنصر الخيال بشكل ملحوظ، مختلطًا بالسمات الأخري مثل العاطفة والثقافة والمهارة، لتشكل لوحة فنية حية بإبداع الكاتب، التي تنبثق من لغته الممزوجة في ذهنه. من خلال هذه العناصر المختلفة، تُبدع الصورة في هيكل لغوي خاص. سنسعي في هذا المبحث إلي استكشاف المفهوم اللغوي والاصطلاحي للصورة.

مفهوم الصورة

لغةً: جاء تعريفها في لسان العرب: «الصورة: الشكل، وجمعه: صُوَر، وصِوَر، وقد صَوَّرَهُ، فَتَصَوّر، وتصورت الشيء، توهمت صورته، فتصور لي، والتماثيل والتصاوير». وعند ابن فارس: «الصورة، صورة كل مخلوق والجمع صور وهي هيئة وخلقه». وورد تعريفها في كتاب المصباح المنير بأنها «التمثال وجمعها: صُوَر، وتصورت الشيء مثلت (صورته) وشكلته في الذهن (فتصور) هو، وقد تطلق الصورة والمقصود بها الصفة كقول العرب (الصورة) الأمر كذا، يعني صفته، وصورة المسألة كذا أي صفتها».

اصطلاحاً: وأما في الاصطلاح، فقد تعددت تعاريفها باختلاف الحقل المعرفي الذي يستخدمه وغرض الاستخدام. ويكاد يكون اتفاق النظر علي صعوبة ايجاد تعريف جامع لهذا المصطلح، ولعل هذه المشكلة كامنة في المصطلحات الفنية والأدبية جميعاً؛ وذلك لشمولية المصطلح المذكور، لأن لها دلالات متنوعة وترابطات متداخلة وطبيعة مرنة تأبي التحدي الأحادي المنظر والتجديد.

فالصورة في قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية هي خيال الشيء المرسوم في العقل وصورة الشيء، ماهيته التي تكون مجردة ؛ وكذلك، فهي تعتبر جزء من التجربة ويجب أن تتآزر مع الأجزاء الأخري في نقل التجربة نقلاً صادقاً فنياً وواقعياً، وهذا قدر مشترك بين المذاهب الأدبية ...، وتُعرف الصورة الشعرية بأنها تركيب لغوي لتصوير معني عقلي وعاطفي عبر التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل.

أما علماء النفس فيرون أن الصورة تتمثل في التعبير عن تجربة حسية تنقُل علي يد البصر أو السمع، أو غيرهما من الحواس المختلفة، فتنطبع فيه وتتسلل الي اللاشعور عند الانسان، فينقلها الذهن الي الشعور ثم يعيد إحياءها أو استرجاعها بعد غياب المنبه الحسي بطريقة من شأنها أن تثير فينا صدقة وحيويته.

تعتبر الصورة من المفاهيم الأكثر شيوعًا وانتشارًا في المجالات الأدبية، سواء كانت قديمة أو حديثة، حيث تشغل مكانة مهمة في التحليل الأدبي. يمتاز هذا المفهوم بوجوده الدائم في الدراسات التي تركز علي الشعر، إذ يعد الشعر فنًا يعتمد بشكل كبير علي الإبداع والخيال، مما يجعله بيئة خصبة لاستكشاف الصور الشعرية. فعندما يتناول الباحثون الشعر، فإنهم غالبًا ما يستعرضون استخدام الصور كأداة تعبيرية تعكس مشاعر الشاعر وتجربته الحياتية. ومن هنا، يُدرك أن الصورة الشعرية تضيف عمقًا إلي النصوص، وتساهم في خلق أبعاد جديدة من الفهم والتأويل، مما يزيد من ثراء العمل الأدبي ويعزز من تواصل المتلقي مع المعاني المضمرة.

في الوقت ذاته، نالت الصورة اهتمامًا خاصًا من المدرسة البلاغية التي اعتبرت أنها إحدي مكونات النص الأدبي الأساسية. فقد طورت هذه المدرسة أدوات نظرية لتحليل الصورة الشعرية، موضحة دورها كوسيلة للنقل العاطفي والفكري بين الشاعر وقارئه. تساهم الصورة في توصيل

المعاني المعقدة بطرق مباشرة وجذابة، وتعتبر جسراً يربط بين المعاني المجردة والتجارب الحياتية النابعة من الحس الإنساني. لذا، فإن فهم الصورة ودلالاتها يسمح للباحثين والنقاد بتوسيع آفاق التحليل الأدبي، والكشف عن العلاقات العميقة التي ترتبط بين اللغة والفكر والعاطفة في الأعمال الأدبية المختلفة.

أهمية الصورة الشعرية

تُعتبر الصورة الشعرية من العناصر الأساسية في الشعر، حيث تلعب دورًا حيويًا في إثراء النصوص وتعميق معانيها. تعكس الصورة الشعرية الأحاسيس والمشاعر بطريقة جمالية، مما يساهم في خلق تجربة انفعالية متميزة لدي القارئ. من خلال استخدام الاستعارات والتشبيهات، تعمل الصورة علي تجسيد الأفكار والمشاعر بطريقة يُمكن للقارئ أن يتفاعل معها بشكل أعمق. كما أن الصورة الشعرية تساهم في توصيل المعاني المعقدة وتجعلها أكثر وضوحًا وجاذبية، مما يساعد في إثارة الخيال وإحداث تأثيرات عاطفية قوية. بالإضافة إلي ذلك، تُعد الصور الشعرية وسيلة فعالة لزيادة بلاغة النص، حيث تضفي عليه عمقًا وجمالًا، وتجعل العمل الشعري أكثر قوة وإشراقًا، مما يعزز من تواصل الشاعر مع جمهوره ويُعزز من قيمة النص الأدبي بشكل عام.

لقد حظي مصطلح الصورة الشعرية باهتمام بالغ من لدن النقاد والدارسين، ولعل السر في هذا الاهتمام يرجع الي كونها تشكل خاصية جوهرية من الخصائص التي ينهض عليها الشعر، ووسيلة الأديب لصياغة تجربته وأداة الناقد المثلي التي يتواصل بها في الحكم علي الأعمال الأدبية. فالصورة الشعرية تعتبر لب العمل الشعري الذي يتميز جوهر الشاعر حتي تتحقق موضوعيا الصورة أكثر مما تتحقق في أي عنصر من عناصر أو مكوّنات البناء الشعري.

وإذا كانت الصورة الشعرية تستخدم لتحقق النفع المباشر، فإنها كذلك تهدف الي إقناع المخاطب بفكرة من الأفكار، والإقناع له أساليبه المختلفة: التي تبدأ بالشرح والتبيين وتقترن بالمبالغة وتتصاعد حتي تصل الي التحسين أو التقبيح.

وتُعرف أيضاً الصورة الشعرية بأنها رسم بالكلمات وتجسيد لعواطف الشاعر وجمع أفكاره المجردة بشكل مادي محسوس وأن الخيال مكوّن بارز من مكوّنات إنتاجها وأنها كما تعتمد عنصر المجاز وغيره من تركيزات البلاغة العربية – التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو التقديم

والتأخير ... – يمكن أن تعتمد الوصف الحسي لكي توصل الي خيالنا شيئاً يتجاوز الحقيقة الخارجية للأشياء وذلك من خلال تركيزها علي طاقات اللغة وإشاعاتها الوجدانية لتبلور أو تجسيد عاطفة الأديب وفكرته في ألفاظ ذات دلالة موضوعية ....

الصورة هي الإطار الذي يصب الشاعر ما في نفسه تجاه الواقع في قالبه لالقائه علي المتلقي وتحريك مشاعره، فليست هناك قصيدة من قصائد العرب، إلا وهي مملوءة بأنواع الصورة الشعرية، ذلك لأن اللغة العربية هي لغة تصويرية.

تعد الصورة السمة الجوهرية المميزة للشعر قديمه وحديثه ويكاد الشعر يكون تصويراً خالصاً ؛ فسادت النظرة الي الصورة علي أنها معادلة للشعر؛ إن مما يساعد علي أن يكون الشاعر شاعراً هو قدرته التي تفوق قدرة غيره علي إدراك المشابهات الخفية عند كتابته للنصوص الأدبية، والكشف عن تماثل الأشياء بوساطة الصورة خاصة الاستبدالية.

بعبارة أخري، يُعد مصطلح الصورة الشعرية من الركائز الهامّة البارزة من بين المصطلحات التي ترتكز عليها دراسة النص الشعري الحديث، وتُعد من الأدوات التي تقودنا إلي اكتشاف تجربة الأديب، وإدراك جوانبها، وهي كالحاوية التي تستوعب التجربة، وتوضحها عن طريق السمو باللغة، وتحشيد طاقات الكلمة. فالصورة تتكون في مخيلة الشاعر مع تبلوُر النص الشعري ذاته، وليست شكلًا منفصلًا عنه؛ ونستطيع القول بأن جمالية الشعر وقوة إيحاءاته ودلالاته تتجلي في الإيحاء من خلال التصاوير الشعرية لا في التصريح بالأفكار المجردة ولا المبالغة في وصفها، تلك التي تجعل العواطف، والأحاسيس أقرب إلي التعميم، والتجريد منها إلي التخصيص والتصوير، ومن ثَم كانت للصورة أهمية بالغة، وليست الصورة زينة عارضت الكلام، بل هي تعد جوهرا وفنا للشعر.

في الواقع، ترجع أهمية الصورة في الشعر الحديث والمعاصر الي الطريقة التي تستخدم بها وهي طريقة تعد ثورة كبري في مجالها ومجال الشعر علي السواء وقد أصبحت في الشعر الحر تستخدم بطريقة بنائية عضوية تتدرج أصلاً في صميم العمل الأدبي فتتولد خبرة أوسع وأكمل تعمق إحساسنا وإدراكنا، وفي هذا الاندماج تجسد الصورة التجربة أو الفكرة أو الرؤية بكل

تعقيداتها الكائنة والتي ستكون أما أنها تحمل الفكرة فلأنها لا تنفصل عنها شرحاً وتعبيراً لها وأما أنها تحمل الرؤية فلأنها واسطتها الوحيدة مادام الشعر الحديث شعر رؤي ...

ثانياً: الصورة والدلالة:

مصطلح "الصورة الفنية" مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثير بمصطلحات النقد الغربي. فالقضايا التي يثيرها المصطلح موجودة في التراث مع الاختلاف في طريقة العرض والتناول. وهذا ما جعل بعض الدارسين يقول: إن مصطلح الصورة يبقي عربياً تراثياً أصيلاً .

والواقع أن النقد القديم عالج قضية الصورة الفنية معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والحضارية، فاهتم علي سبيل المثال بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية... وركز علي دراسة الصور الشعرية عند كبار الشعراء أمثال أبي تمام والبحتري، وابن المعتز، والتفت إلي الصلة الوثيقة بين الصورة والشعر، كما تناول النقد القديم جوانب بالغة الأهمية في الصور كالملكة أو الخيال، وطبيعة الصورة باعتبارها نتاجاً لهذه الملكة، ووظيفتها في العمل الأدبي، وأهميتها للمبدع والمتلقي علي السواء .

تلعب الصور الشعرية دورًا محوريًا في دلالة المفاهيم الشعرية، حيث تُعتبر وسيلة فعالة للتعبير عن الأفكار والمشاعر بطرق تجعلها أكثر وضوحًا وعمقًا. من خلال استخدام الصور، يُمكن للشاعر تجسيد معاني معقدة وملهمة، مما يتيح للقارئ تصور واستشعار ما لا يمكن التعبير عنه بالكلمات فقط. تُساعد الصور الشعرية في توصيل المفاهيم بشكل مباشر من خلال تحويل المعاني المجردة إلي تجارب حسية ملموسة، مما يعزز من الفهم العاطفي ويُعمق العلاقة بين الشاعر وقارئه. عندما يستخدم الشاعر أمثلة مثل الاستعارات والتشبيهات، يتمكن من خلق روابط جديدة بين الأفكار والمشاعر، حيث تُسهم هذه الصور في توسيع مدي المعاني التي يمكن للفرد استشعارها. علي سبيل المثال، قد يُستخدم وصف الطبيعة لتصوير مشاعر الحب أو الفراق، مما يجعل القارئ يختبر تلك المشاعر بشكل أكثر تأثيرًا من مجرد سرد القصة أو الفكرة. بالتالي، فإن الصور الشعرية ليست مجرد زينة بلاغية، بل هي أدوات أساسية لنقل الدلالات المعنوية، وتجعل النص الشعري غنيًا بالمعاني التي تفتح آفاق التفكير والتأمل، مما يُقدّم تجربة شاملة تُعبر عن العمق الإنساني وتعكس التعقيدات الدفينة في التجربة البشرية.

تلعب الصورة الشعرية دورًا حيويًا في تجلية المفاهيم النفسية، إذ تُعبر عن الأحاسيس والمشاعر الداخلية بطريقة تُسهم في إبراز التعقيدات النفسية للإنسان. من خلال استخدام الصور والتشبيهات والاستعارات، يُمكن للشاعر تجسيد مشاعر مثل الحزن، الفرح، الوحدة، والأمل، مما يُتيح للقارئ التواصل مع التجربة الإنسانية بشكل أعمق.

عندما يقوم الشاعر بوصف الألم باستخدام صورة طبيعية، مثل وصف الشجرة الذابلة كرمز للفقدان، فإنه يجسد تلك المشاعر النفسية بطريقة ملموسة تسهل علي القارئ استيعابها والتفاعل معها. تسهم الصور الشعرية في خلق صور ذهنية تجعل الأحاسيس النفسية أكثر وضوحًا وتُعزز من تأثيرها العاطفي، مما يساعد القارئ علي استكشاف حالة الشاعر النفسية وفهم دوافعه وأفكاره بشكل أفضل.

علاوة علي ذلك، فإن الصور الشعرية تُعبر عن الصراعات الداخلية والمخاوف، مما يُعطي صوتًا للتجارب الإنسانية التي قد تكون صعبة التعبير عنها بالكلمات العادية. من خلال تصوير العواطف المعقدة والصراعات النفسية، تستطيع الصور الشعرية أن تُظهر جوانب مختلفة من النفس البشرية، مما يجعل العمل الشعري غنيًا وذو بعد إنساني عميق. لذا، فإن الصورة الشعرية تلعب دورًا أساسيًا في نقل المشاعر النفسية، وتعمل كجسر يربط بين التجربة الفردية والواقع الأوسع، مما يعزز من تأثير الشعر كفن يُعبر عن الإنسانية بشكل شامل.

لكن معالم الصورة الفنية لم تتأطر بوضوح، بل ولم تعرَّف بدقة، وجاء اهتمام النقاد بالصورة من ناحية شكلية.

أما الخيال فيذكر عبد القادر الرباعي: أنَّ النقاد لم يهتموا كثيراً بالجانب النفسي منه، وإنما أخضعوه لقوة العقل المنطقية، واهتموا بالصورة البلاغية ... وكان التشبيه وسيلتهم الصورية المفضلة، لأنه ورد كثيراً في أشعار الجاهليين، وكلامهم كما لمسوا فيه القدرة علي توفير الومضة الجمالية السريعة التي أحبوها .

ولم يهمل القدماء الجانب الحسي والمعنوي في الصورة، بيد أنهم لم يربطوا بين هذه الصور والتجربة الإنسانية والحالة النفسية للشاعر، فكانت هذه النقطة النافذة التي ولج منها النقاد المحدثون عالم الصورة.

فالصورة عند المحدثين قلب النظرية الشعرية الجديدة، وكل مسألة من مسائلها الأخري شريان تعطيه الصورة دفقات الحياة، وهي مولود غض لقوة خلاقة هي الخيال والخيال نشاط فعال يعمل علي استنفار كينونة الأشياء ليبني عملاً فنياً متحد الأجزاء، منسجماً، فيه هزة للقلب، ومتعة للنفس

ومن هنا جاء اهتمام النقاد المحدثين بالخيال الشعري علي اعتباره المركز الرئيسي لتوليد الصور . فالخيال يذيب، يسهب، يشتت، يوحد، يجدد من أجل إعادة الخلق للوصول إلي الوحدة، والمثل والشعر هو النشاط العام للخيال . وتتباين مواقف المذاهب الأدبية من الخيال، فبينما تراه الكلاسيكية "غريزة عمياء، ويجب أن يظل تحت وصاية العقل، تنظر له الرومانسية علي أنه طاقة روحية هائلة، وعالم مطلق غير محدود، وبالتالي مظهر اتحاد القلب بالعقل .

والصورة عند الكلاسيكين شيء مادي، لأنها نتاج تأثير الأشياء الخارجية علي حواسنا ... وليست المشاعر إلا فرصة لتكوين الأفكار بوساطة الذاكرة . أما عند الرومانتيكيين فهي للفكرة كالجسم للروح، فلا وجود لفكرة بدون صورة كما لا وجود لروح بدون جسم، وعلي هذا يتكاتف كل من الشكل والمضمون علي رسمها وإيضاحها.

والرومانتيكي ذاتي في صوره؛ لأنه يري الطبيعة من خلال مشاعره . وهذا يستلزم خلع ما في داخله من مشاعر وإحساسات علي هذه الطبيعة، وتتآزر صوره بطريقة عجيبة، يربطها خيط نفسي من البداية حتي النهاية. وقد كان الرابطيون رومنتيكيين في صورهم، لكن صورهم الذاتية حملت مضامين اجتماعية ، تتمثل بالاعتداد بالفرد في وجه المجتمع وما يسوده من تناقضات؛ لذلك ترفعوا عن المشاركة بشعرهم في واقع حياتهم، واعتصموا من جحيم مجتمعهم بجنات خيالهم، فكانوا يهربون بالخيال وينشدون مستقبلا إنسانياً خيراً، ويعبرون عن ضيقهم بواقعهم، ويتغنون بما في الإنسانية الفطرية السعيدة، ويتمنون العيش في بلاد نائية ... فيما سموه "البرج العاجي"

ولا يعد هذا الهروب سمة سلبية بقدر ما هو سمة إيجابية، حركت غرائزهم الذاتية للعمل في سبيل مستقبل أفضل، فقد كان الرابطيون يتعاطفون مع الطبقات المسحوقة، ويثورون علي التفاوت الاقتصادي، ويرغبون بالحرية، وكان لهذه الثورة، ولتلك الرغبة انعكاس علي صياغتهم لصورهم الشعرية، فلم تعد صورهم تقليدية جامدة، بل جديدة مبتكرة يمتلك زمامها الخيال الإبداعي المنتج.

فهذا الخيال يخلق توافقاً نفسياً بين الشاعر وعالمه الخارجي من خلال إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها. وكما يقول عز الدين إسماعيل": "إن الفنان يلون الأشياء بدمه كذلك الشاعر يندمج بالأشياء، ويخلع عليها مشاعره وأحاسيسه، فينتزع صوره من واقعه وإن كانت تبدو غير واقعية.

ومن هنا فإن محاولة إيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة أمر متعذر، إن لم يكن مستحيلاً، وذلك لارتباط الصورة بالإبداع الشعري، وبما أن الإبداع متغير بحكم خضوعه العنصري الذاتية والموضوعية، فإن الصورة بالتالي ستكون متغيرة، ولهذا نجد كما هائلاً من التعريفات للصورة تختلف باختلاف الرؤية النقدية والفلسفية للأدب، وأبسط هذه التعريفات ما أورده عبد الله إبراهيم بقوله:

الصورة في الأدب هي الصوغ اللساني المخصوص الذي بواسطته يجري تمثل المعاني، تمثلاً جديداً ومبتكراً " .

فهذا الصوغ إذن يتناول المعاني سواء التي تتمثل في الوجدان أم التي يراها الشاعر في محيطه شرط أن يتأثر بها، وعلي هذا فإن إبداع الشاعر يكمن في تحويل المرئي وغير المرئي إلي صياغة مبتكرة تنقل تجربته إلي المتلقي.

وتتجلي أهمية الصورة في أنها ناقلة للتأثير، مترابطة في مجموعها، بحيث يكون منها صورة كبري... .

وليس الهدف من الحديث عن الصورة الإحاطة الشاملة بكل تعريفاتها، وتركيباتها، وتقسيماتها، واختلافها عند الشعراء، وأهميتها ووظائفها، فهذا هدف لا تحققه دراسة، ولا حتي مجلدات، ولكن الهدف من عرضها في هذا السياق، رسم مسار عام لتشكيل الصورة عند الرابطيين، فقد تكون أفضل الوسائل للكشف عن رؤيتهم، وتحويل ما جال في خواطرهم إلي مرئيات، يمتزج فيها الحس مع الشعور.

وقد تفاوت الرابطيون في اهتمامهم بالصورة، ففي حين يذهب "نسيب عريضه" إلي التلوين والتنويع فيها، نجد "ندره حداد" قليل العناية بتلوينها والخروج بها عن المعتاد والمألوف، في حين يبدع جبران خليل جبران" في صوره حين يأتي بالغريب.

فجاءت صورهم بين الابتكار والإغراب، كما عند جبران خليل جبران إلي المعتاد والمـــألوف، كما عند ندره حداد، وبين التنويع والتلوين، كما عند نسيب عريضه" إلي التماسك والنمو، كما عند ميخائيل نعيمه، بالإضافة إلي العناية بالصورة الجزئية المستقاة من الطبيعة، كما عند إيليـــا أبـــي ماضي"، إلي الصورة الكلية، كما عند "رشيد أيوب".

وعلي الرغم من هذا التفاوت، فإننا نجد طابعاً عاماً يغلف صورهم، ويجعلها تتجه اتجاهاً نفسياً، ألا وهو طابع الحزن والتشاؤم. وقد أشار "نعيم اليافي" لذلك قائلاً: "إن من الصـــور مـــا تســـتمد أبنيتها من الغروب النضوب والجفاف والأفول والانطفاء .

وهذا ما يتضح لنا بجلاء عند دراسة الصورة عند الرابطيين، لكننا لا نعدم حساً تفاؤلياً عنـــدما يطمحون للعالم الأفضل، وحتي شاعر الابتسام – إيليا أبو ماضي – نجد دعوته للتفاؤل، لم تنـــل من نفسيته الحزينة المرتبكة والبارزة في قصيدته المساء:

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين

والبحر ساجٍ صامتٌ فيه خشوع الزاهدين

لكنما عيناك باهتتان في الأفق البعيد

سلمي ... بماذا تفكرين؟

سلمي ... بماذا تحلمين؟

تتجلي الأبعاد النفسية من خلال الصورة الشعرية التي تصور "السحب تـــركض فـــي الفضـــاء الرحب ركض الخائفين"، مما يعكس توترًا داخليًا وإحساسًا بالخوف أو القلق. هذا التصوير يخلـــق حالة من عدم الاستقرار النفسي، حيث يتم استحضار عناصر الطبيعة كمرآة للعواطف الإنســـانية. إلي جانب ذلك، تأتي الشمس كرمز للأمل أو الحياة، لكنها تُظهر "صفراء عاصبة الجبـــين"، ممـــا يوحي بمعاناة أو تعب، ويعكس الصراع الداخلي للشاعر الذي يتفكر في حالته النفسية وأحاسيسه.

يُظهر البحر "ساجٍ صامتٌ فيه خشوع الزاهدين" دلالة علي السكون والتأمل، مما يُعبر عن عمق الحزن والاستسلام للواقع. وفي نهاية النص، تأتي الأسئلة الموجهة إلي "سلمي" لتُبرز بعدًا آخر من الصراع النفسي، حيث تسلط الأضواء علي حالتها الداخلية وتفكرها في الأحلام والتطلعات. هذه الأسئلة، ذات الطابع الحواري، تخلق جسرًا للتواصل وتعزز من إحساس القارئ بالانتماء إلي التجربة الشعورية، مما يزيد من عمق النص وتجربته الجمالية. ففي هذه اللوحة حشد من الصور تبدو للوهلة الأولي لا علاقة بينها ولا ارتباط، ولكنا عندما نغوص فيها نجد خيطاً نفسياً جمع أوصالها المقطعة، وروحاً حزينة روَّت ألفاظها ففي:

- ركض الخائفين: ألم وخوف وتمزق

- وفي صفراء: شحوب ومرض ونضوب، وهو اللون الذي أغرم به الرابطيون في شعرهم، حتي أن "ندره حداد" يختار لديوانه عنوان "أوراق الخريف" وما توحيه من اصفرار وشحوب.

- وفي عاصبة الجبين: ألم وضجر ومعاناة

- وفي ساج: غموض وإقتام وهدوء

- وفي صامت: خشوع، وسكون وإلهام

وفي باهتتان: يأس وتشاؤم وذبول

إن هذه الصور المتلاحقة تعبر عن نفسية حزينة، وما أشبهها بما يتراءي في الأحلام، من صور متشتتة لا يجمعها عالم الوعي، بقدر ما يجمعها عالم اللاوعي.

وفي عناصر صوره نجد (سحباً، وفضاء، وشمساً، وبحراً) فكأن الشاعر: يضع الإنسان في مواجهة الطبيعة، فإذا كانت سلمي يائسة، رأينا في السحب رمزاً للأحلام الهاربة، ووجدنا في الشمس المعصوبة الجبين صورة سلمي نفسها بقلقها النفسي ... ثم لمحنا في سجو البحر ذلك الكيان الإنساني الذي يبدو هادئاً في ظاهره، لا تقلقه تغيرات ما حوله .

أما عن طبيعة هذه الصور عند شاعرنا فهي الإسقاط، والإسقاط هو : منح الخارج صفة الداخل.

وقد برع الشاعر في إسقاط مشاعره الحزينة علي الطبيعة المحيطة به، متأثراً بمذهبه الرومانسي، فبدت الطبيعة تموج بالحركة والاضطراب التي ما هي في الواقع إلا امتداد لنفسية الشاعر الحزينة. وهو يلجأ إلي صورة بديعية رائعة عندما يقابل بين الإنسان والطبيعة ليظهر التناقض بينهما، وعجز الإنسان عن محو التناقضات، ونجاح الطبيعة في ذلك فيقول:

لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقع

يخفي ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع

إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع

والمقابلة هنا خفية علي غير ما عهدنا في الشعر القديم، هدف منها الشاعر بالدرجة الأولي بيان عجز الإنسان أمام قوي الطبيعة وسعيه إلي الاحتذاء بها. ولجوء الرابطيين إلي المقابلة والطباق يأتي في سياق المقارنات بين الشاعر والطبيعة حيناً وبين الطبيعة والإنسانية أحياناً لإبراز ما يرمون إليه من معان، ولجلب انتباه المتلقي.

أما الجناس فلا يأتي في صورهم إلا عفو الخاطر، وهم في صورهم البديعية لا يقصدون إليها، وإنما تكون تابعة لموقف إنساني صوفي . إذن عماد الصورة البديعية الفكرة، وليس التزيين.

استخدام الفعل "اسلمي" يُعبر عن رغبة الشاعر في السلام والعودة إلي موطنه، مما يدل علي ارتباطه العاطفي بالمكان وذكرياته التي تثير "أطرابه وأذكاره". هذا الارتباط يميز حالة القلق والحنين، حيث يشعر الشاعر بتشتت الذكريات وتأثيرها علي مشاعره، مما يُظهر صراعه الداخلي في مواجهة فراقه عن الوطن:

ألا اسلمي يا دارُ من دارِ

تهيج أطرابي وأذكاري

وقد أُراها فأقول اسلمي

لجمع آرابي وأوطاري

حيَّتك عنا شمْأَلٌ سهْوةٌ

تسري إذا ما عرَّس الساري

تنسمتْ تسحب أذيالها

خلال جنات وأنهار

كأنما نُشْرةُ أنفاسها

تصدر عن حانوت عطار

أما من الناحية البلاغية، فتبرز الصور الاستعارية في تصوير الدار والحي ككائنات حية، حيث يُشَبَّه المكان بـ"شمألٍ سهْوةٌ" يُحركه الشوق والذكريات، مما يمنح النص طابعًا يبعث علي الحيوية. كما أن التشبيه في عبارة "كأنما نُشْرةُ أنفاسها" يربط بين جمال المكان وروائح العطور، مما يضفي بعدًا حسيًا عميقًا علي الصورة الشعرية. تعكس هذه الاستعارات جمال الطبيعة وروحيتها، مما يُعزز من أبعاد النص النفسية ويمنح القارئ فرصة للتفاعل العاطفي مع تجربة الشاعر ومعاناته بالحنين إلي الوطن. وممن برعوا في استخدام الطباق بوصفه وسيلة لتوحيد المتضادات جبران خليل جبران" في قصيدته "سكوتي إنشاد" يقول:

سكوتي إنشادٌ وجوعي تخمة

وفي عطشي ماء وفي صحوتي سكر

وفي لوعتي عرس وفي غربتي لقا

وفي باطني كشف وفي مظهري ستر

من خلال التلاعب بالكلمات، يُعبر جبران عن تجربة إنسانية مُعاشة تحتوي علي تناقضات داخلية، فـ"سكوتي إنشاد" يشير إلي الصمت الذي يحمل في طياته عبقرية التعبير الفني، بينما "جوعي تخمة" يبرز الفجوة بين الحاجة والإشباع، مما يعكس الصراع النفسي الذي يعانيه الإنسان في محاولته لتحقيق التوازن بين رغباته ومشاعره. تخلق هذه التناقضات شعورًا بالتوتر الداخلي الذي يساهم في تعميق تجربة القارئ، حيث يشعر بالتعاطف مع حالة الغموض والازدواجية التي يعيشها الشاعر. فإن استخدام الطباق يُعتبر استراتيجية جمالية تُقوي من تأثير المعاني علي

المتلقي، فعبارات مثل "في عطشي ماء" و"في غربتي لقا" تعكس عمق الشوق والحنين إلي الروابط الإنسانية، بينما تُبرز في الوقت ذاته شعور الافتقار والانفصال. هذا التصوير المتباين لا يعكس فقط الحالة النفسية للشاعر بل يُعطي أيضًا للقارئ فرصة للتأمل في الذات والتفاعل مع الجوانب المتناقضة المشابهة في حياته. يُظهر جبران من خلال هذه التراكيب البلاغية كيف يمكن لتضاد المشاعر والأحاسيس أن يُغني التجربة الإنسانية، مما يترك أثرًا عميقًا في النفس ويعزز من جمال النص الشعري.

ففي القصيدة تمتزج الأضداد فالسكوت إنشاد والجوع تخمة، والعطش ماء، والصحوة سكر ... إلخ. وينطلق من ذلك كله بفكرة أن جوهر الوجود واحد، وهذا التناقض ما هو في الواقع إلا قشور خارجية، وبالتالي اختلف "جبران" عن أبي ماضي" في استخدام الصورة البديعية المتضادة، وجوهر الاختلاف هو منبع الصورة، فعند "أبي ماضي" الطبيعة، وعند "جبران" فكره الخلاق فالشاعر عند "جبران خليل جبران" هو المتعبد الذي يدخل هيكل نفسه، فيجثو باكياً فرحاً نادباً مهللاً، مصغياً مناجياً، ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه أسماء وأفعال وحروف واشتقاقات جديدة، فيضيف بعمله هذا وتراً إلي قيثارة اللغة، وعوداً إلي موقدها .

وقد تميز "جبران خليل جبران" ببناء الصورة الفريدة التي تدل علي خيال سابح، فما المواكب إلا شريط سينمائي، يتسم بالحيوية والحركة، ويشع بالإيحاءات والدلالات والإيقاعات التي تؤثر في النفس، فنجده يقول:

والعدلُ في الأرض يبكي الجن لو سمعوا به ويستضحك الأموات لو نظروا

فالسجنُ والموتُ للجانين إن صغروا والمجدُ والفخرُ والإثراء إن كبروا

عبّر الشاعر عن رؤية قاتمة للواقع عبر تشخيص الأحوال التي تعيشها البشرية. العبارة "والعدلُ في الأرض يبكي الجن لو سمعوا" توحي بأن مفهوم العدالة غائب عن الناس لدرجة أن الجن، ككائنات غير مرئية، قد تشعر بالحزن لرؤية هذا الوضع غير العادل. يمثل هذا التصوير الشعري تأملًا عميقًا في الحالة النفسية للإنسان المعاصر الذي يعيش في غياب العدل، مما يثير مشاعر الإحباط واليأس. في المقابل، فإن الفكرة القائلة بأن الأموات "يستضحك" تعكس سخرية الواقع الذي يتجاهل القيم الإنسانية الأساسية، مما يعكس شدة الفوضي والمآسي التي تعصف بالمجتمع.

ولقد تم استخدام الطباق في هذه الأبيات لتأكيد التناقضات الاجتماعية والأخلاقية. فالعبارتان "السجْنُ والموتُ للجانين إن صغروا" و"المجدُ والفخرُ والإثراء إن كبروا" تشكلان صورة حادة للتمييز بين الجزاء العادل وغير العادل، حيث يُحرم الأضعف من حقوقه بينما يُكافأ الأقوياء مهما كانت أفعالهم. هذا الاستخدام للشكل البلاغي يجعل الأحاسيس أكثر فاعلية في توصيل الرسالة، حيث يترك أثرًا في نفوس القارئين. كما أن الجمع بين الظلم والفخر يعكس عمق التجربة الإنسانية المليئة بالنيات والعواطف المتناقضة، مما يجعل النص الشعري غنيًا بالدلالات ويوفر فضاءً للتفكر في القضايا الاجتماعية والأخلاقية.

فشاعرنا هنا يبني صورته علي مفارقة، ويقابل بين ألفاظها في جوّ متناسق، وحسّ مرهف،وتوق للعدالة الصافية التي ينعم الجميع في ظلها.

وهذا الخيال المجنح قاد الشاعر إلي "التقمص" في صوره الاستعارية، وفي التقمص: تتحول الذات إلي الموضوع، ولكن لا تتلاشي فيه، أو تسقط خصائصها الجوهرية والعضوية فيه.

ويجمع جبران في قصيدته بين الحنين والغربة ليصور تجربة إنسانية عميقة تعكس آثار الفراق والافتقاد للوطن. إن هذا التعايش بين الأمل في عودة الزمن الجميل والشعور بالألم الناتج عن فقدان الهوية يجسد الصراع الدائم في النفس البشرية. القصيدة تخلق تواصلًا شعوريًا قويًا مع القارئ، مما يجعل من تجربة الحنين والغربة رسالة قوية تنبض بالحياة والألم:

فَفِي حَوَاضِرِهِ الظَّبْيُ المَرُوحُ سَجَا

وَفِي بَوَادِيهِ رِيعَ الضَّيْغَمُ الأَضِمُ

تَلَجْلَجَ الْبَرْقُ إِذْ طَارَ النَّعْيُ بِهِ

وَاسْتَشْعَرَتْ وِقْرَهُ الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ

لُبْنَانُ مَادَتْ بِهِ حُزْناً رَوَاسِخُهُ

وَجَفَّ بِالغُوطَوِ الصَّفْصَافُ وَالرَّتَمُ

وَفِي السَّوَادِ عُيُونٌ بِالسَّوَادِ جَرَتْ

وَفِي الحِجَازِ وَ نَجْدٍ لِلْجَوَي ضَرَمُ

مَا حَالُ قَوْمٍ بِمِصْرٍ شَمسُهُمْ كُسِفَتْ

وَتَسْتَهِلُّ فَمَا تُغْنِهِمُ الديَمُ

أُمُّ المَدَائِنِ تُمْشِي وَهْيَ جضازَعَةٌ

بِالنَّعْشِ مَشْيَ ثَكُولٍ مَسَّهَا الْعَقَمُ

ذِيدَتْ عَنِ الرُّكْنِ لَمْ تُلْمِمْ بِهِ يَدُهَا

فَأَقْبَلَتْ بِضِيَاءِ الْعَيْنِ تَسْتَلِمُ

دِيَارُهَا كَالطلُولِ السُّحْمِ مُوحَشَةٌ

وَفِي الرِّحَابِ وَفُودُ الْخَلْقِ تَزْدَحِمُ

وَفِي البِلادِ بِتَعْدَادِ الْبِلادِ عَلَتْ

مَنَاحَةٌ مَا رَأَتْ أَمْثَالَهَا الأمَمُ

وَرَاءَ كلِّ سَرِيرٍ مَثَّلُوهُ بِهِ

مِنَ الجَمَاعَاتِ مَا لَمْ يَجْمَعِ الرَّقَمُ

لَمْ تَشْهَدَ الْعُرْبُ يَوْماً فِي فَوَادِحِهَا

كَذَلِكَ الْيَوْمِ مَشْهُوداً وَلا الْعَجَمُ

تتجلي الأبعاد النفسية من خلال التعايش بين مشاعر الحنين والغربة، حيث يبرز الشاعر تجارب الفقد والافتقاد للوطن. تُعبر الكثير من الصور الشعرية عن عمق الحنين إلي الماضي، مثل تصور "الأم المدائن" التي تمشي بحزن وكأنها تعيش في فاجعة مستمرة. هذا المزج بين الأمل في العودة إلي "الزمن الجميل" والشعور العميق بالألم الناتج عن الفراق يجسد الصراع الداخلي الذي يعاني منه الفرد في زمن الغربة. الجمل التي تعكس مظاهر الألم والمعاناة مثل "وَفِي السَّوَادِ عُيُونٌ

بِالسَّوَادِ جَرَتْ" تمثل شعور الإنسان المنفصل عن هويته وتربطه بذكريات الوطن، مما يخلق تواصلًا شعوريًا قويًا مع القارئ.

أما من الناحية البلاغية، فإن جبران يستخدم العديد من الأساليب الشعرية مثل الاستعارات والتشبيهات للتعبير عن ألم الفراق. فعبارة "كالأطلال السُّحْم" و"وديارها مُوحَشَة" تُبرز القسوة التي يعاني منها الشاعر حيث تتحول الأماكن التي كانت تعج بالحياة إلي أطلال مُوحشة. كما أن استخدامه للتفاصيل الحسية، مثل ذكر "النعي" و"الحزاني"، يُضفي بُعدًا واقعيًا علي الصور، ويعزز من تأثير الرسالة في نفوس القارئين. تتداخل هذه الصور لتعكس تجربة إنسانية جماعية، حيث يعبر الشاعر عن معاناة أمة بأكملها، مما يجعل نصه ينبض بالحياة والألم، ويترك أثرًا عميقًا في النفس البشرية.

تتجلي مكانة الحنين من خلال تصويرات الشاعر القوية للوطن، حيث يعكس شعوره العميق بالحنين إلي لبنان وأماكنه، التي يلخصها بأسلوب شعري غني ومؤثر. يشير جبران إلي "الحضارة" و"البادية"، مما يعكس تباين المشاعر بين الحزن والفرح اللذان يشعر بهما تجاه وطنه، كما يُشدد علي الجمال الطبيعي للبنان. من خلال الإشارة إلي "الظبي المروحي" و"ريَع الضيغم الأضم"، يتمكن الشاعر من استحضار مشاعر مرتبطة بالذكريات السعيدة والبراءة، وكأن الوطن بالنسبة له هو مكان يشبع الروح ويجدد الذكريات البهية.

أما الغربة، فتظهر من خلال شعور الفقد وضياع الهوية الذي يعاني منه الشاعر نتيجة الأحداث الدامية التي تضرب بلاده. يصف جبران حال الأمة في مصر ودول عربية أخري، مما يشير إلي التأثير السلبي للأزمات والنزاعات علي الوحدة والتماسك الاجتماعي. والغربة هنا لا تتعلق فقط بالابتعاد عن الوطن، بل تعبر عن حالة نفسية تترك أثرها في نفس الشاعر وتغمره بأسي دائم.

ويمثل التقمص قوله في مواكبه:

هل فرشتَ العشبَ ليلاً وتلحفت الفضا

زاهداً في ما سيأتي ناسياً ما قد مضي

تتجلي الأبعاد النفسية في هذه الأبيات الشعرية في تجسيد حالة من النسيان والزهد، حيث يُعبّر الشاعر عن رغبة في التحرر من مشاعر القلق والتوتر المرتبط بالمستقبل. تتضح هذه الحالة في الصورة التي يخلقها عبر فعل "فرشتَ العشبَ ليلاً" و"تلحفْت الفضا"، مما يوحي بارتباط الشخص بالانتماء إلي الطبيعة وحياة البساطة. يُبرز هذا التقمص النفسي الإحساس بالسكينة والراحة في ظل غياب المتطلبات المادية، وبالتالي يعكس الصراع الداخلي الدائم بين الطموحات والاحتياجات والأمل في التمتع باللحظة الراهنة. إن الزهد في "ما سيأتي" والنسيان لـ "ما قد مضي" يُظهر تحديًا نفسيًا بين الرغبة في العيش في الحاضر والتشتت بسبب الأفكار المرتبطة بالماضي والمستقبل.

أما من الناحية البلاغية، فإن استخدام الأسلوب التصويري في هذه الأبيات يعزز من قوة المعني ويجعل المشاعر أكثر وضوحًا. فعندما يُصوّره الشاعر وهو "يتلحف الفضا"، يبدو كأنه يستمد الأمان من الطبيعة، وهذا يعكس عاطفة الارتباط بالعالم الخارجي. كما أن توظيف المقابلة بين الزهد (الذي يُعتبر رزانة وعقلانية) والتعلق بالماضي أو المستقبل يُبرز تضادًا يُعمق المعاني. هذا الطباق يُتَيح للقارئ الفرصة للتفكُّر في تجارب الوجود الإنساني وكيف يتعامل الأفراد مع الزمن، مما يُغني التجربة الشعرية ويوفر منصة للتفاعل العاطفي مع النص. هذه الأبعاد تلعب دورًا أساسيًا في جذب القارئ إلي عمق المُعاناة والتجرِبة الإنسانية للشاعر. والناظر في الأبيات يظن أن جبران خليل جبران" يخاطب شخصاً آخر، ولكن الواقع أن جبران المادي" يتقمص جبران "الأثيري"، وكل ذلك أضفته الاستعارة علي الأبيات؛ فالعشب فراش والفضاء لحاف، وهذه قمة الزهد والحرية في أن عندما يفترش الإنسان الأرض، ويلتحف الفضاء، وهي صورة أدعي إلي التحليق والانطلاق.

وفي عقيدة "التقمص" وجد الشاعر "حلا" لكل الإشكالات التي كانت تضيق بها نفسه، فلم يعد الإنسان منقسماً بين الخير والشر، بل أصبح متكاملاً بجسده وروحه، وأصبحت الحياة أمامه متكاملة علي ما فيها من تناقض .

وهذا يفسر لنا تعريف نعيمه للشاعر بأنه مصور ذلك؛ لأنه قادرٌ علي سكب ما يراه ويسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام.

"أما الخيال عند "نعيمه" فهو من أهم وسائل التعبير والقوي الهائلة التي تجسم أحلامنا عن الجمال والعدل والحق والخير، وتروي ظمأ أرواحنا إلي الحياة التي نعشقه . ويتجلي التجديد عند الشاعر في هذا المجال فيما يسمي بالوحدة العضوية، حيث تتحول القصيدة إلي كائن ينمو نمواً عضوياً داخلياً، مما يمنحها التماسك والتفاعل بين عناصرها.

إن وحدة القصيدة دليل علي التكامل النفسي الذي يتمتع به صاحبها، وربط الأشياء بالمسببات، والصلة بين الجزئيات والكليات، وهي نظرة تليق بعصرنا العلمي الذي يبدأ بالبحث والفحص والاستقصاء بأصغر الجزئيات .

وهذا المفهوم يجعلنا ننظر إلي القصيدة برمتها علي أنها صورة، فهي صورة كلية تتكون من صور جزئية متضافرة ومتفاعلة، وبدلا من النظرات الجزئية للقصيدة تحل النظرة الكلية الشمولية التي تسعي إلي تصوير العالم ونقده وفهمه، وهو ما ينسجم مع النزعة الإنسانية التي تجسدها أشعار الرابطيين.

وهذه الوحدة العضوية تجعلنا نتناول الديوان الواحد فنشعر أنه وحدة واحدة، وقد يتعدي ذلك إلي رابطة بأكملها، كما هو الحال في الرابطة القلمية، فقد اتسمت بطابع مميز، وهو نزعتها الإنسانية، مما يجعلنا نلاحظ تأزراً غريباً بين قصائدهم، فهي كبنيان راسخ يشد بعضه بعضاً، والقصيدة كالجسم الحي يقوم كلّ عضو منه بوظيفته، فلا يملك أن يقوم عضو بوظيفة الآخر. وفي القصيدة التالية من خلال استحضار صور الفلاح الذي يعود ليحرث أرضه بعد الهجر، يُشير الشاعر إلي الأمل في التغيير، لكن هذا الأمل يتلاشي بسرعة ليُستبدل بالواقع المُؤلم الذي يعيشه. استخدام تعبيرات مثل "جفّت سَواقينا" و"هدّ الذل مأوانا" يعبّر عن شعور العجز والاستسلام أمام القوي المعادية، مما يُظهر الصراع النفسي الذي يعيشه الأفراد في ظل ظروف الحرب والدمار. يعتبر هذا التغلغل في المشاعر تجربة إنسانية تجعل القارئ يتفاعل مع الألم المشترك، مما يعزز من الطابع الكوني لمأساة الإنسان في زمن الصراع:

أخي! إنْ عادَ يحرث أرضَهُ الفَلاّحُ أو يزرَعْ

ويبني بعدَ طُولِ الهَجْرِ كُوخاً هَدَّهُ المِدْفَعْ

فقد جَفَّتْ سَوَاقِينا وَهَدَّ الذّلُّ مَأْوَانا

ولم يتركْ لنا الأعداءُ غَرْسَاً في أراضِينا

سوي أجْيَاف مَوْتَانا

* * *

أخي! قد تـــَمَّ ما لو لم نَشَأهُ نَحْنُ مَا تَمَّا

وقد عَمَّ البلاءُ ولو أَرَدْنَا نَحْنُ مَا عَمَّا

فلا تندبْ فأُذْن الغير ِ لا تُصْغِي لِشَكْوَانَا

بل اتبعني لنحفر خندقاً بالرفْشِ والمِعْوَل

نواري فيه مَوْتَانَا

* * *

أخي! مَنْ نحنُ؟ لا وَطَنٌ ولا أَهْلٌ ولا جَارُ

إذا نِمْنَا، إذا قُمْنَا رِدَانَا الخِزْيُ والعَارُ

لقد خَمَّتْ بنا الدنيا كما خَمَّتْ بِمَوْتَانَا

فهات الرّفْشَ وأتبعني لنحفر خندقاً آخَر

نُوَارِي فيه أَحَيَانَا

أما من الناحية البلاغية، فإن استخدام الاستعارات والصور الشعرية يُضفي غني علي الـــنص، حيث يبرز الشاعر مشاهد قاتمة تعكس واقعًا مأساويًا، مثل "خندقًا بالرفش والمِعْوَل" و"نوارِي فيه مَوْتَانَا". تُعبر هذه الصور عن الفعل المباشر لمواجهة الموت والفقد بجرأة، ممـــا يُضـــفي طابعًـــا بطوليًا علي محاولات البقاء والمقاومة. كما أن الطباق بين "الخير" و"الشر" يظهر جليًا في النص، حيث يبرز الجانب المظلم من الحياة الذي يعيشه الناس في أوقات الحرب. تُعزز هـــذه العناصـــر البلاغية من جدلية الفقد والأمل، مما يُتيح للقارئ فهم الإحساس العميق بالشتات الذي يعاني منـــه الأفراد، ويُظهر كيفية انعدام الهوية والانتماء في الأوقات العصيبة. وبذلك يتحول النص إلي وسيلة

تُعبّر عن تجربة جماعية تُعاني من آلام الفراق والضياع، مع الأمل المُستمر في العودة إلي الجذور وإعادة بناء الوطن.

ففي قصيدة "ابتهالات" عبر "ميخائيل نعيمه" عن تجربة صادقة وصراع مع النفس من أجل الوصول إلي الحقيقة، متمثلة في سعادة البشرية، وقد أعطي لقصيدته وحدة فنية وعضوية، وقد اتبع الشاعر طرقاً عدة للوصول إلي الحقيقة، متمثلاً أولاً بالحواس، ولكن، هل الجانب الحسي يكفي لكشف هذه الحقيقة؟ لنستمع إلي الشاعر وهو يبدأ ابتهالاته بقوله:

كحّل اللهم عيني

بشعاع من ضياك

كي تراك

عبر الشاعر عن حاجة مُلِحّة لرؤية الحقيقة، والتي يُرمز لها هنا بـ"ضياك"، مما يُظهر الصراع الداخلي بين إدراك الواقع الخارجي والشعور بالداخل. هذا التفاعل يُظهر التوق إلي المعرفة والإيمان، ويعكس حالة نفسية من البحث عن الأمل والسعادة التي تُعتبر ضرورية للبشرية. يُسجل الشاعر بذلك رحلة نفسية تعكس تطلع الروح إلي التحرر من القيود المادية والشعور بالوحدة، معززًا من الإحساس بالحنين إلي جانب روحي يُسمي "الحقيقة".

أما من الناحية البلاغية، فإن استخدام الاستعارة في التعبير عن "كحل العين" يُضفي عمقًا بصريًا ومعنويًا علي النص، حيث يُجسد فكرة التحول والإضاءة الداخلية التي تُسهم في رؤية الحقيقة. كما أن الإشارة إلي "شعاع" و"ضياك" تُعبر عن الأبعاد الروحية للقصيدة، مما يمكّن القارئ من الشعور بالتوازن بين الفضاء الحسي والباطني. تُعتبر هذه الصورة الشعرية التي تطرح سؤالًا عن كفاية الحواس لكشف الحقيقة مدخلاً فلسفيًا يولّد التفاعل الذهني والوجدان لدي القارئ. من خلال هذه العناصر البلاغية، يعكس نعيمه تجربة روحية عميقة ويعيد تشكيل فهم القارئ عن كيفية التواصل مع العالم من حوله، مما يعزز من قيمة التجربة الشعرية ويجعلها رحلة مشتركة نحو البحث عن المعاني الأعمق للحياة.

ونور البصر لم يعد كافياً، فيلجأ الشاعر إلي طلب العون من الله أن يهب له ذلك الشعاع الـــذي يمنحه نور البصيرة، التي تجعله يصف الأشياء بإحساسه لا ببصره، ويجعله يدرك الأشياء علـــي حقيقتها، ويتناسي ظاهرها المتناقض:

في قروح البرص، في وجه السليم

في يد القاتل، في نجع القتيل

في سرير العرس في نعش الفطيم

في يد المحسن، في كف البخيل ...

يُجسد الشاعر إشكالية الإدراك، حيث يكشف عن تناقضات الحياة التي تتواجد في أماكن غيـــر متوقعة، مثل "قروح البرص في وجه السليم"، مما يعكس شعوراً بالألم والمعاناة، وبالتالي يُبـــرز حالة من الاغتراب والتشتت في الذات. إن هذه الملاحظات تُظهر كيف أن الظاهر يمكن أن يُخفي عمق الألم والواقع القاسي، مما يبرز الصراع النفسي بين المعرفة الظاهرة والباطنة. تفـــتح هـــذه التصويرات المجال للشعور بالحنين إلي التفاهم الإنساني في عالم مليء بالتناقضات.

أما من الناحية البلاغية، فإن استخدام المقابلات بين الصور المتناقضة مثل "يد القاتـــل" و"نجـــع القتيل" أو "سرير العرس" و"نعش الفطيم" يمثل نمطًا بلاغيًا قويًا يعمـــل علـــي تعزيـــز الرســـالة المركزية للنص. هذه الصور تُغذي القارئ بعمق الفكرة التي يسعي الشاعر لتأكيـــدها، وهـــي أن الحياة مليئة بالتناقضات والمفارقات التي تجعل من الصعب إدراك الحقائق بالأعين فقط. كمـــا أن استخدام الأسلوب الاستعاري في تصوير التباينات يُضفي بُعدًا فلسفيًا حول طبيعة الحياة والمجتمع، مما يجعل القارئ يتأمل في التفاصيل المعقدة للعلاقات الإنسانية وكيف تُنتج المتناقضات المشاعر والأحاسيس. بهذا الشكل، يستثمر الشاعر بلاغته لإحداث تأثير عاطفي قوي، ممـــا يُعـــزز مـــن تجربته الشعرية ويجعل القارئ يعيش تلك التوترات ويستشعرها بشكل أعمق.

ففي جو من المقابلة راح شاعرنا يطابق بين وجه الأبرص ووجه السليم، والقاتل والقتيل... إلخ ثنائيات تحمل في طياتها متناقضات، نراها في أبصارنا، ولكنها تنم عن حقيقة واحـــدة فـــي هـــذا

الوجود، وقد راح الشاعر يؤكدها بحرف الجر الظرفي في. فإذا عجزت العين عن الإبصـــار ... فما الحل؟

وإذا ما ساورتها سكته النوم العميق

فاغمض اللهم جفنيها إلي أن تستفيق

فهذا استخدام جديد للصورة التشبيهية البصرية، لم يتطرق لها الشعر من قبل، وهو في إغماض الجفن يسلم بأن البصر وحده يعجز عن إدراك الحقيقة، فيلجأ إلي الحاسة الثانية التـــي أنعـــم الله سبحانه – بها علي البشر، والتي يوظفها في صوره السمعية التي يمتزج فيها الجانب الصوتي مع النغمي:

وافتح اللهم أذني

كي تعي دوماً نداك من علاك

وتتابع الصور بسرعة "بمصادر" لأفعال ثلاثية، كلها تدل علي أصوات ينـــدمج بهـــا صـــوت الطبيعة مع صوت الحيوانات مع صوت الإنسان، وتتآزر مع بعضها لتعبر عن تجربة الشـــاعر الشعورية بصدق ودون تكلف:

في نعيق البوم، في نوح الحمام

في خرير الماء، في قصف الرعود

في هدير البحر، في زحف الغمام

في غنا البلبل، في ندب الغراب

في دبيب النمل، في زعق العُقاب

في صراخ الليل، في همس الصباح....

تُعبر هذه الأبيات عن تداخل الأصوات الطبيعية والحيوانية والإنســـانية، ممـــا يخلـــق تجربـــة شعورية غنية وعميقة تعكس تفاعل الشاعر مع البيئة من حوله. إن استخدام أفعال مثـــل "تعيـــق"

و"نوح" و"خرير" يبرز الحيوية والإحساس بالحياة من خلال الصوت، مما يعكس صورة متكاملة تتلاشي فيها الفواصل بين الإنسان والطبيعة. هذا التفاعل يُظهر تجربة الشاعر النفسية من خلال انغماسه في عالم مليء بالصوت والحركة، حيث تتعاصر الأصوات لتخلق لوحة معقدة ومتناغمة تعبر عن مشاعره الداخلية. تتجلي في هذه الأبيات مشاعر التوتر والاستجابة للعالم الخارجي، مما يُعكس ضعف الإنسان أمام قوي الطبيعة، ويُعزز من إحساس القارئ بعظمة المشاعر الإنسانية عندما ترتبط بعالم أكبر منها.

أما من الناحية البلاغية، فإن تنوع الصور الصوتية المستخدمة يعكس براعة الشاعر في خلق علاقات متشابكة بين الأصوات المختلفة. من "نعيق البوم" الذي يثير شعور الحزن والرهبة، إلي "غنا البلبل" الذي يُضفي لمسة من الأمل والجمال، يتنقل الشاعر بين الألوان الصوتية المختلفة ليعكس طيف التجربة الإنسانية. إن الهدف من هذا التغيير في الأصوات هو تعزيز الشعور بحضور الطبيعة كمشارك فعّال في التعبير عن المشاعر البشرية، مما يجعله حافزًا للتأمل في الروابط العميقة بين الإنسان والبيئة. هذه المقارنة والتباين بين الأصوات تعكس الجوانب المتعددة لتجربة الحياة، مما يُعطي النص بُعدًا عاطفيًا مكثفًا ويُعزز من قوة الرسالة التي يرغب الشاعر في إيصالها.

ويتفنن الشاعر في أوزان الأصوات، فنوح بدل نواح، وزعق بدل زعيق، وتمد الصورة الاستعارية يدها إلي هذه اللوحة بالتشخيص، فالحمام كالباكية، والغمام كالجيش. وفي الطبيعة تنقلب الموازيين ففي الليل صراخ، وفي النهار سكون، فهذا الخيال المجنح استدعاه تكثيف عاطفي عميق. وفي صراخ الليل وهمس النهار صورة سمعية، لكن هذه الأذن صماء، فيلجأ شاعرنا إلي حاسة ثالثة، لا تقل أهمية عن سابقتيها :

وليكن لي يا إلهي

من لساني شاهدان صادقان

واللسان يعطينا صورة ذوقية ونطقية، وفيه نتحسس الأشياء، حقيقة بمعرفة طعمها، ومجازاً بتذوقها فنياً، أما النطق فهو معجزة خص الله بها البشر عن سائر خلقه، ونعته في التنزيل "بالبيان":

أما عن هذين الشاهدين فهما:

إن أفُه بالحق فليشهد معي

أو أفُه بالبطل فليشهد عليّ

فليكن سيفاً لساني حدُّهُ

في سبيل الحق ماضٍ لا يهاب

تُظهر الأبيات الشعرية تفاعل الشاعر مع مفهوم الكلام كوسيلة تعبير قوية تحمل الأبعاد النفسية والعاطفية. من خلال العبارة "إن أفُه بالحق فليشهد معي" و"أفُه بالبطل فليشهد عليّ"، يُعبّر الشاعر عن صراعه الداخلي بين الحق والباطل، مُبرزًا أهمية اللسان كأداة لنقل المشاعر والأفكار. الحساسية تجاه "الحق" و"البطل" تُعطي بعدًا نفسيًا عميقًا للشاعر، حيث يتجلي استخدمه للكلمات كسلاح للحقيقة، مما يعكس التوتر الذي يشعر به حين يواجه التحديات. تُعبر هذه الأبيات عن رغبة الشاعر في أن يكون صوته تعبيرًا واقيًا عن قناعاته وللتعبير عن موقفه الأخلاقي، مما يخلق تواصلًا شعوريًا يحرك أحاسيس القارئ ويدعوه للتفكير في قوة الكلمات وتأثيرها.

أما من الناحية البلاغية، فإن الصور الفنية المستخدمة تعزز من قوة المعاني المقدمة، حيث يصبح اللسان "سيفًا" يمثّل اللسان كأداة فاعلة في النضال من أجل الحق. استعمال هذا التشبيه يُضفي عمقًا علي مفهوم القوة الكلامية ويجعلها تبرز في مظهر عسكري، مما يُعزز من بلاغة النص ويجعل القارئ يتخيل القوة اللازمة التي يتطلبها النطق بالحق في مواجهة التحديات. كما أن تعبير "حدُّهُ" يُشير إلي ضرورة الانتباه والدقة في النطق، لأنه يعبر عن موقف وجودي يتطلب الشجاعة والثبات. من خلال استخدام هذه الاستعارات، يُثري الشاعر النص ويعكس العلاقة بين اللسان والفعل، مما يُبرز أهمية الكلام كوسيلة للمقاومة ويحث القارئ علي استكشاف دوره في المجتمع.

وفي جو من المقابلة يلبس صورة قديمة ثوباً جديداً، فاللسان سيف، ولكن إذا تجرد للباطل، فما الذي يصلحه غير الموت:

فلسانٌ يعلن الحقّ وسراً يذبحهُ

ليت شعري غير صمت الموت ماذا يصلحه

وتتضافر الصور في هذه القصيدة، ويربطها خيط نفسي من البداية إلي النهاية، وتتكاثف صورها الجزئية في إطار الصورة الكلية، ولم يلجأ شاعرنا إلي الصورة (اللمسية والشمية) لإدراكه بأن الحواس عاجزة عن إعطائه سؤاله فيلجأ إلي الحدس – حاسته السادسة – والصورة الحدسية جديدة في الأدب:

واجعل اللهم قلبي

واحة تسقي القريب والغريب

ماؤها الإيمان، أما غرسها

فالرجا والحب والصبر الطويل ...

جوها الإخلاص، أما شمسها

فالوفا والصدق والحلم الجميل

وفي إطار هذه الصورة الحدسية يلجأ إلي التجسيد، فالإيمان ماء، والرجاء شجر، والإخلاص هواء، والوفاء، والصدق والإخلاص، أخلاقيات بحث عنها شاعرنا عبر صوره الحسية ولم يدركها بحسه، ولكنه أدركها بحدسه، وهي قابعة داخل كيانه، وهي قيم يتمني تجسيدها في عالم الحياة، أما إذا حاقت الشكوك حول نفسه، فيقول:

وإذا الإيمان ولي والرجا أضحي ضرير

فلينم قلبي إلي أن ينفخ البوق الأخير

والصورة في الشطر الأخير مستقاة من الموروث الديني، ومن خلال الصور الجزئية المتلاحقة، خاض الشاعر رحلة في أعماق نفسه، فوحّد بين الذات والموضوع في نشدان عالم إنسانيّ فاضل، وهذا سيكون متي سادت المحبة بين البشر.

وهكذا أتت الصورة في هذه القصيدة وليدة معاناة،وليس تقليداً،ميزتها أنها تعطي إضاءات،ونستطيع تحليلها بأكثر من مدخل،وفيها تداخل بين الصورة والشعور، فنفس شاعرنا المضطربة انعكست علي لغته الثنائية، ولم يأت الشعور مضافاً إلي الصورة الحسية بل ممتزجاً بها، وبالتالي فإن الشعور هو ذات الصورة، ونحن عند قراءة هذه القصيدة نشعر أن الشاعر قام برحلة، كانت في بدايتها خارجية، وانتهت داخلية، وهذا ما يطلق عليه "رحلة نفسية" .

وأتي الإيقاع منسجماً مع الألفاظ والعبارات والصور والموسيقا، فتحقق تلاؤم الصياغة مع المضمون، وانسجمت مع نفسية صاحبها، فتلاحمت أبياتها بوحدة عضوية، زاد تأثيرها في النفس تلك الموسيقا الداخلية المنبعثة من كلماتها، فشكلت ظلاً روحياً علي القصيدة، ينسجم مع عنوانها "ابتهالات". ينقل الشاعر نادر حداد رسالة مؤثرة حول التضحيات التي تأتي مع الحب، وكيف أن الذكريات والأمل في اللقاء تتداخل مع شعور الحنين والغربة. يُعتبر نادر حداد في هذا العمل شاعرًا يعبّر عن تجربة إنسانية عالمية تمسّ القلوب، حيث تلتقي مشاعر الحب والفقد لتُخلق تجربة شعرية صادقة تترك أثرًا عميقًا في النفس:

يا من تعزُّ علي قلبي منازلهم

قد طوّقتني شجونٌ ليس تنفطمُ

ومهجتي بين همّي والأسي عبثتْ

والحبُّ نارٌ وليسَ العطفُ يحتكمُ

مالي أري الليلَ يأتي والنجومُ سَنا

لكنهُ دونَ طيفِ الحبّ مظلمُ

لا تنكروا دمعةً سالتْ بمرقدِنا

فإنَّ في الصّدرِ من فَرطِ الهوي عَلَمُ

أمشي إلي القومِ مشتاقًا لعودتهم

وقد تجمَّعتِ الأشواقُ والندمُ

صبرًا علي الحبِّ إنّ الدربَ مغفرةٌ

في طيّها أملٌ وفي طيّاتها هِممُ

ما خابَ من سعي في حبّهِ ولهًا

ولا اكتوي قلبهُ إلّا بما انقسموا

لكَ الفؤادُ وما أبدتْ مشاعرهُ

وعن ودادِكَ لا ينأي ولا يَفِمُ

عليكَ حبٌّ أضاءَ القلبَ منبهراً

وما سواهُ سوي غيمٍ بهِ قَتَمُ

فهل تري نصراً أحلي من وداعَتنا

أم هل وجدتَ بديلًا حينما يُعْمَلُ

يا منْ بعزّك أهوي وأنتَ غايتي

فيكَ الخِصامُ، وفيكَ الشوقُ والألمُ

في تعبيره عن "الشجون" و"همّي" و"الأسي"، يُجسد الشاعر حالة من الاغتراب الداخلي، حيث يبدو قلبه مأسورًا بين مشاعر الحب والألم. الفكرة التي تتكرر في الأبيات، مثل "مالي أري الليلَ يأتي والنجومُ سَنا"، توضح الصراع بين الجمال الخارجي والظلام الذي يصاحب الفراق، مما يخلق شعورًا عميقًا بالوحدة والندم. تتنقل المشاعر من الشوق إلي الحزن، مما يعكس الصراعات النفسية التي يواجهها الشاعر، ويجعل القارئ يشعر بتلك الفجوة بين الأمل والألم.

أما من الناحية البلاغية، فإن الصور الشعرية تعزز من قوة التعبير الفني وتجعل المشاعر تتجسد بشكل ملموس. استخدام الاستعارات مثل "الحب نار" و"غيمٍ بهِ قَتَمٌ" يُظهر عمق التجربة العاطفية ويخلق تبايناً حادًا بين النور والظلام، مما يُعبر عن شدة المشاعر المتناقضة التي يعيشها

الشاعر. العبارات مثل "ما خابَ من سعي في حبّهِ ولهًا" تُعبر عن الإصرار والأمل، مما يمنح النبرة التفاؤلية رغم المعاناة. تُظهر هذه البلاغة كيف يمكن للكلمات أن تكون سلاحًا في مواجهة الألم، وتُبرز قوة الحب كرغبة مستمرة حتي وسط التحديات. يساهم هذا الاستخدام البلاغي في خلق تأثير عاطفي قوي يُعزز من أهمية النص كشهادة علي التجربة الإنسانية المعقدة في الحب والفراق.

أما "نسيب عريضه" فلم يقتصر الخيال عنده علي التشبيهات والمجازات الحسية، بل نراه يشمل روح القصيدة وخواطرها، وينقل إلينا تجربة عميقة، وشعوراً قوياً، فتتحول القصيدة معه إلي لوحة فنية رائعة، تنقل المتلقي إلي الجو الذي يريده الشاعر، فيسيطر عليه صدق الانفعال،وقوة العاطفة. فقصيدته"لماذا؟ تبني علي سؤال يجعله يقلب طرفه في الأفق من حوله، ويحار الشاعر، وحيرته تدور حول سؤال واحد فحواه لماذا يحرم أناس من أمور، ليأخذها أناس غيرهم؟ ويعرض صوراً من الطبيعة رائقة، ولكنها أيضاً تثير الحيرة:

لماذا دموع الفقير تسيل وعنها عيون الوري غافلة؟

وإن هطلت دمعة للندي تعانقها النبتة المائلة

وتبدي لها الشمس والريح عطفاً كمعشوقة في الحشا نازلة

وتمتصها من ثغور الورود وتمسح أهدابها الناحلة

فلننظر إلي هذا النسيج المتجانس الذي راح يصوره لتجسيد رؤيته؟ والذي أخذ يثير فينا التساؤلات، فلماذا لا أحد يجفف دموع البؤساء؟ أما دموع الندي فلها الشمس والريح إذا سقطت علي أهداب الورود الناحلة.

ونستشف من ذلك أن النبات أكثر حناناً من "الإنسان"!!

وقد استخدم الشاعر تشبيهاً كمعشوقة" وإستعارة دموع الندي" و"ثغور الورود" و تشخيصاً" فالشمس والريح تعطفان، وتمسحان الدموع وحواراً يقض مضاجع الإنسانية وتكراراً يحمل

التعجب في طياته لماذا ؟ كل هذا علي بحر يمتاز بالإيقاعات الخفيفة والقصيرة، وهو البحر المتقارب.

وتختمر التجربة، ويخرج منها الشاعر حائراً عاجزاً عن فهم أسرارها، لأن عمر الإنسان أقصر من أن يحل عقدة من عقدها، وهذا الفرق بين صور الشاعر وصور ميخائيل نعيمه الذي وصل إلي الحقيقة في قصيدته السابقة.

وتغلب علي نسيب عريضه الصور المستمدة من البادية من قافلة، ودليل، وناقة وركب ورمال، لكن شاعرنا لا يقصد بها تقليد الصور القديمة، وإنما يتخذ منها رمزاً للرحلة والانتقال، والتعبير عن إحساساته ومشاعره.

يتضح مما تقدم أن الصورة عند الرابطيين وسيلة للتعبير عما في نفوسهم من خلجات شعورية ونفسية، ووسيلة للكشف عن حقائق نوعية، ووسيلة لمنح الشعر طاقة إيحائية تصويرية تبتعد به عن التقرير والمباشرة، تازرت فيها الحالة النفسية، مع القدرة البلاغية، علي صوغ الصور، بحيث لا يستطيع القارئ إقامة حدود فاصلة بين "الاتجاه النفسي والاتجاه البلاغي كما فعلت بعض الدراسات . والملاحظ أن تيار الحزن الدافق خيم علي صورهم، وطبعها بطابع رومنتيكي مميز .

الخاتمة

في هذا البحث، تم تناول الأبعاد النفسية والبلاغية في الصور الشعرية لدي شعراء الرابطة القلمية، التي تعد واحدة من الحركات الأدبية البارزة في التاريخ العربي الحديث. تُظهر الصور الشعرية التي ابتكرها هؤلاء الشعراء عمقًا في التعبير عن المشاعر الإنسانية، حيث تعكس تجاربهم الفردية والجماعية، مما يتيح فهمًا أعمق للأحاسيس المليئة بالشجن والحنين. يمثل التأمل في هذه الصور الشعرية استكشافًا للأبعاد النفسية المعقدة، حيث تربطها بالتجارب الفردية، مثل الحزن والفراق، مما يزيد من عمق التجربة القارئية.

تتجلي الجوانب البلاغية في استخدام الشعراء لأساليب متنوعة من الاستعارات، والتشبيهات، والصور الحسية التي تعمل علي إثراء النصوص. ويستحضر الخيال الشعري مشاعر مؤلمة، تتجنب الصور الشعرية تنميط التجارب الإنسانية، بل تجسدها في أشكال جديدة تُعبر عن التنوع العاطفي والتعقيد النفسي. يُساهم ذلك في إثراء النصوص الشعرية ويعزز من معانيها الضمنية.

عند تحليل الصور الشعرية، يتضح لنا كيف تتنوع وفق السياقات النفسية للأفراد وتجاربهم الحياتية. لا تقتصر الصور علي انعكاس المعاني المباشرة فحسب، بل تحمل في طياتها أبعادًا فكرية وأخلاقية. وهذا ما يجعل شعراء الرابطة القلمية فريدين في قدراتهم علي الربط بين الكلمات والأحاسيس، مما يُعطي نصوصهم طابعًا إنسانيًا شاملًا. إن استخدام هذه الصور كوسيلة للتعبير عن التناقضات والآلام اليومية للشعوب يعكس إيمان الشعراء بأهمية الكلمة في تغيير الواقع وتجسيد التجارب الإنسانية بصدق وموضوعية.

في هذا السياق، يُظهر شعراء مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي نمطاً متميزًا في استخدام الصور الشعرية لنقل الفلسفات الذاتية والوجودية. يتمكنون من إنشاء تواصل عاطفي قوي مع قرائهم من خلال هذه الصور التي تعكس عمق المعاناة والبحث عن المعاني. تتداخل الأبعاد النفسية مع البلاغة بشكل يجعل النصوص الشعرية هي تعبير حيوي عن واقعٍ معقدٍ، حيث تتفاعل الأفكار مع العواطف وتؤدي إلي تجربة شاملة تتجاوز حدود الزمان والمكان.

في الختام، تعكس الأبعاد النفسية والبلاغية في الصور الشعرية لدي شعراء الرابطة القلمية كيفية تعبير الأدب عن التجربة الإنسانية بعمق ودقة. من خلال هذه الصور، لا يُظهر الشعراء مهاراتهم البلاغية فحسب، بل أيضًا قدرتهم علي تصوير تجارب عاطفية معقدة، مما يجعل أعمالهم مُستدامة وذات معني عميق للأجيال القادمة. يُعتبر استكشاف هذه الأبعاد خطوة هامة لفهم الشعر العربي الحديث، مما يعزز من قيمته الأدبية والمعنوية في سياق المتغيرات الثقافية والفكرية.

المصادر والمراجع:

- Swaminthan, S.R. The Still Image in Keat's Poetry, Salzburg: Universal Sazburg,1981,p65

١- عباس، إحسان، (١٩٥٩م)، فن الشعر، بيروت: دار الثقافة.

٢- داود، أنس، (١٩٨٠م)، التجديد في شعر المهجر، الطبعة الثانية، المنشأة الشعبية للنشر، ليبيا

٣- أبو ماضي، إيليا، (١٩٨٦م)، الجداول، الطبعة السابعة عشرة، بيروت: دارالعلم للملايين.

٤- عصفور، جابر، (١٩٩٣م)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الطبعة الثالثة، بيروت: المركز الثقافي العربي.

٥- خليل جبران، جبران، (١٩٩٤م)، المجموعة الكاملة، تقديم جميل جبر، بيروت: دارالجيل.

٦- السيد، شفيع، (١٩٩٤م)، ميخائيل نعيمه منهجه في النقد واتجاهه في الأدب، الطبعة الثانية، القاهرة: دارالفكر العربي.

٧- عزيز الماضي، شكري،(١٩٩٣م)، في نظرية الأدب، الطبعة الأولي، بيروت: دار المنتخب العربي.

٨- عبدالدايم، صابر، (١٩٩٣م)، أدب المهجر، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، الطبعة الأولي، القاهرة: دارالمعارف.

٩- الرباعي، عبدالقادر، (١٩٨٤م)، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، الطبعة الأولي، دار العلوم الرياض.

١٠- إبراهيم، عبدالله ،و بشري موسي صالح،(١٩٩٤م)، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بيروت: الطبعة الأولي المركز الثقافي العربي.

١١- إسماعيل، عزالدين، (١٩٩٤م)، الشعر العربي المعاصر، قضاياه الفنية والمعنوية، الطبعة الخامسة، القاهرة: النكتبة الأكاديمية.

١٢- علاق، فاتح، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، رسالة ماجستير غير منشورة، حلب، سوريا.

١٣- مجيد عبد الحميد ناجي الصورة الشعرية"، مجلة الأقلام، العدد الثامن، ١٩٨٤، ص٩.

١٤- محمد غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، نهضة مصر، القاهرة، د.ت. ص ٦٣.

١٥- ميخائيل نعيمه، همس الجفون، مصدر سابق، ص ص ٣٥ ، ٣٩

١٦- نسيب عريضه، الأرواح الحائرة، مصدر سابق، ص ٣٣.

١٧- نعيم اليافي، تطور الصورة في الشعر العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ت، ص ١٣٩.

١٨- نعيم اليافي، تطور الصورة في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٨

١٩- نعيم اليافي، تطور الصورة في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص ١٦٣.

٢٠- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (٢٠٠٤ م). مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.

٢١- ابن منظور، محمد بن مكرم. (٢٠٠٣ م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٢٢- الجيار، مدحت. (١٩٩٥ م). الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي. بيروت: دار المعارف.

٢٣- الراغب، عبد السلام أحمد. (٢٠٠١ م). وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم. حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر.

٢٤- شريم، جوزيف. (١٩٨٤ م). دليل الدراسات الأسلوبية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.

٢٥- عصفور، جابر. (١٩٩٢ م). الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٢٦- غنيمي هلال. محمد. (٢٠٠٠ م). دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده. القاهرة: دار النهضة للطبع.

٢٧- _____. (١٩٨٣ م). النقد الأدبي الحديث. لبنان: نشر دار الثقافة ودار العودة.

٢٨- فضل، صلاح. (١٩٩٨ م). نظرية البنائية في النقد الأدبي. القاهرة: دار الشروق.

٢٩- الفيومي المقرئ، أحمد بن محمد بن علي. (١٩٩٦ م). المصباح المنير. بيروت: المكتبة المصرية.

٣٠- موسي صالح، بشري. (١٩٩٠ م). الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٣١- اليافي، نعيم. (١٩٨٢ م). مقدمة لدراسة الصورة الفنية. دمشق: طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٣٢- يعقوب، ايميل. (١٩٨٧ م). قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي – إنجليزي – فرنسي). بيروت: دار الملايين، موسسة القاهرة للتأليف والترجمة والنشر.